

مقرر: نظرية المعرفة

د. جمال نور الدين إدريس

الوحي :

● **تعريفه:** ذكر ابن فارس في معجمه: الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِقَاءِ عِلْمٌ فِي إِخْفَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ إِلَى غَيْرِكَ. فَالْوَحْيُ: الْإِشَارَةُ. وَالْوَحْيُ: الْكِتَابُ وَالرَّسَالَةُ ، وَالْإِلْهَام ، والصوت. وَكُلُّ مَا أُلْقِيَتْهُ إِلَى غَيْرِكَ فَعِلِمَهُ فَهُوَ وَحْيٌ.

● **والوحي:** يطلق ويراد به الحركة التي تكون بين الملقى والملقى إليه وهي الإلقاء ، ويراد به أيضاً اسم المفعول وهو الشئ الموحى . وقد قيد بعضهم : الإطلاق الأول

بقيدي: الخفاء والسرعة ، فعرفوا الوحي بأنه: (الإعلام الخفي السريع).

● **صور الوحي:** يتمثل الوحي في صور عديدة وقد ذكر القرآن نماذج منها فمن ذلك:

● **الإلهام الغريزي للحيوان:** [وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68)] النحل.

● **الإلهام الفطري للإنسان:** [وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ (7)] القصص.

● والإشارة السريعة بأمر ما : [فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (11)] مريم.

● والوسوسة الشيطانية: [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121)] الأنعام.

● ماذا نقصد بالوحي هُنا:

الوحي في الإسلام:

- **الوحي بالمعنى الشرعي** : عرفه أهل الاصطلاح بأنه:
إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بشره ودينه.
- ومنذ أن أوجد الله الإنسان واصطفى منهم رسلاً تتابع وحيه إلى هؤلاء الرسل بصورة متماثلة قال تعالى: **[إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ**

● مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164) النساء.

● **كَيْفِيَّاتُ الْوَحْيِ:** وهذه الظاهرة تأتي على كَيْفِيَّاتٍ متنوعة أشارت إليها الآية القرآنية: [وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذِنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ (51)] الشورى.

● ونتيجة للوحي الذي يحصل لنبي من الأنبياء فإنه يأتي للبشرية بحقائق علمية وأحكام جازمة في مختلف مجالات المعرفة وسنترك الحديث عن الوحي ومصدريته للمعرفة وقيمة ما يقدمه عند غير المسلمين

- ، ونتحدث عن حقيقته وطبيعته وما يقدمه من معرفة من خلال التصور الإسلامي.
- **الوحي في الإسلام:** سبق الحديث عن الوحي وتعريفه ، وذكرنا أن المقصود به وحي الله إلى رسوله محمد ﷺ
- أنماط عملية نزول الوحي:
- 1- الرؤيا في النوم كما في حديث عائشة رضي الله عنها: (أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، كَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلُ فَلَقِ الصُّبْحِ).

- 2- بوساطة جبريل-عليه السلام : إما بصورته الملكية أو بصورة بشر معروف لدى الصحابة أو غير معروف. أو يهبط على رسول الله ﷺ خفية لا يراه الصحابة وإنما يعرفون مجيئه من خلال ما يظهر على الرسول ﷺ من تغيرات أو يسمع له دوي كدوي النحل. وقد ورد في صحيح البخاري عائشة - رضي الله عنها - أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ، فقال: «يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ:

● أحياناً يأتي في مثل صَلَلةِ الجرس - وهو أشدُّه
عليّ - فَيَفْصِمُ عني وقد وَعَيْتُ ما قال، وأحياناً يتمثل
لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول. قالت عائشة:
ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد
فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً)

● 3- مخاطبة الله له مباشرة دون توسط جبريل وقد حدث
ذلك ليلة الإسراء والمعراج.

● والوحي بمعنى المُوحي يتمثل في الإسلام بالقرآن والسنة:

● القرآن: (هو الكلام المعجز المنزل على محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته.

● وقد تلقى الرسول ﷺ هذا النوع من الوحي بلفظه ومعناه من جبريل منجماً خلال ثلاث وعشرين سنة.

- **السنة:** (هي ما صدر عن الرسول ﷺ غير القرآن من قول أو فعل أو تقرير في غير الأمور الطبيعية)
- وتختلف عن القرآن في أن القرآن لفظاً ومعنى من الله تعالى بخلاف السنة فقد يروي مضمونها عن الله تعالى وهي الأحاديث القدسية التي يكون الخطاب فيها من الله إلى الناس مباشرة أو يكون التوجيه فيها من الرسول ﷺ مباشرة وهي السنة والأحاديث النبوية ، والقرآن والسنة هما قوام الوحي الذي أنزل على النبي ﷺ بالحقيقة الكاملة.

● طبيعة الوحي في الإسلام:

● المسائل التالية تبين خصائص الوحي وطبيعته والتي بها يتميز عن مصادر المعرفة البشرية:

● **المسألة الأولى:** حصوله بالاصطفاء لا الكسب: الوحي منحة إلهية فالنبوة التي هي مؤهل تلقي الوحي اصطفاء من الله واختيار: [اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ (124)] الأنعام قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي (144) [الأعراف].

[وهذا يبطل ما ادعاه الفلاسفة والصوفية من اعتبار النبوة من جملة المواهب البشرية المكتسبة :

• التي تنال بالجد والاجتهاد والاستغراق في العبادات أو التصفية والتسامي بالروح أو إطالة المعاناة الفكرية في جواهر الأشياء حتى تتفجر الحقيقة وتتنزل المعرفة المباشرة.

• أو اعتبارها نوعاً من العبقرية الذاتية أو درجة في الذكاء الفطري الذي يعطي صاحبه استعداداً قوياً للانتقال من المعلوم إلى المجهول بسرعة فائقة ودون

● ترتيب أدلة لذلك وهو ما يسمى بالحدس كما زعم بعض الفلاسفة.

فابن سينا: يرى أن لاكتساب العلوم طريقين: الحدس ، والتعليم . ويرى أن الناس متفاوتون في الحدس وأن منهم: (من ينتهي في طرف الزيادة إلى أن يكون له حدس في جميع المطالب أو أكثرها حتى يشتعل حدساً وقبولاً لإلهام العقل الفعال ، فتشرق عليه الصور العقلية دفعة ، أو قريباً من دفعة ، ويصبح عقله مرآة صقيلة ، تعرف كل شئ من نفسها ، وتسمى هذه الحالة من العقل الإنساني : عقلاً قدسياً وهو ضرب من النبوة

لا بل هو أعلى درجات النبوة).

● **والحق:** أنه بنظرة موضوعية إلى حال النبي ﷺ يتبين صدق ما قرره وبطلان القول بأنها كسبية وحديث بدء الوحي فيه الرد الكافي على مثل هذه الادعاءات: (عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ أَوَّلُ مَا يُدِيءُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بَغَارَ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ

• في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ
 قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني
 فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى
 بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ
 فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك
 الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك
 الأكرم {فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل
 علي خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال زملوني
 زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة
 وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة
 كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل

الْكَلِّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ (...).

● ولم يكن ﷺ متطلعاً إلى درجة النبوة قال تعالى: [وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ (86)] القصص، وقد كان هنالك متطلعون لها أمثال : أمية بن أبي الصلت ولم يحدث لأحد منهم ما تمناه.

• ولعل مما أوقع التصور الفاسد بأن النبوة كسبية في أذهان بعض الناس سوء فهمهم كيفية تنزل الوحي على النبي وقياسه على حدوث المعارف الأخرى لدى الإنسان ، وكذلك اتجاه كثير من فلاسفة العصر العباسي إلى تأكيد الاتصال الوثيق والتوفيق بين الفلسفة والشريعة الذي جعلوا الفلسفة اليونانية الأصل الذي تقاس به الأشياء فكان الفيلسوف ومنهجه في تحصيل المعرفة - لدى الفلسفة اليونانية - أساس عملية المقارنة مع النبي فالفارابي يقرر أن الفيلسوف والنبي كلاهما يستطيع الاتصال بالعقل الفعال إلا أن الأول عن المتخيلة.

- طريق التأمل والنظر والثاني عن طريق، وابن مسكويه يتحدث عن اتفاق الفيلسوف والنبي في الحقائق التي يخبران بها ؛ لأن الفرق بينهما : أولاً: أن أحدهما ارتقى من أسفل والآخر انحط من عل وكما أن المسافة بين السطح والقرار واحدة كذلك الحال في تلك الحقائق والمشاهدات عند من يرتقي إليها وعند من ينحط إليها.
- المسألة الثانية: عدم خضوعه لرغبة الرسول في تنزله: فالوحي يتم تبعاً لمشيئة الله وحده ، فليس خاضعاً في توقيت نزوله أو تحديد مكانه لرغبة النبي ﷺ ولا ملئياً مطالبه فور الحاجة إليه .

- لذلك كان الوحي يتتابع أحياناً وينقطع أحياناً فقد فتر الوحي بعد نزوله في غار حراء مدة ثلاث سنين ، كذلك أبطأ بعد حادثة الإفك
- كذلك فإنّ الوحي ينزل عليه في لحظات تدل حاله فيها على أنه لم يكن منتظراً نزول الوحي فيها ، وهذه الخاصية في طبيعة الوحي تميزه عن مناهج استمداد المعرفة من المصادر الأخرى إذ هي تتم من خلال التهيؤ والاستعداد وذلك بناء على كسبيتها.

المسألة الثالثة: اليقينية المطلقة لما قدمه من علم:

الوحي بصفته جزء من علم الله تعالى فهو له ما لهذه الصفة من كونها مطلقة غير محدودة فعلم الله يتخطى حدود الزمان والمكان من هنا امتاز ما قدمه الوحي بأنه يقين مطلق سواء كان في مجال عالم الغيب أو مجال عالم الشهادة ، ولعل مجال الغيب (ما وراء الطبيعة) من أعظم هذه المجالات وهو الذي تخطت الفلسفة فيه كثيراً وأعلن كثير من الفلاسفة المتأخرين عجز مصادرهم من الوصول إليه كما فعل ديكارت واربوبرت، ولاذ آخرون بالإنكار له كما فعل الماركسيون.

أما الوحي الذي جاء به الرسول ﷺ فقد جاء بالحق في هذا الميدان مما يلبي تطلعات الإنسان فأخبر عن الكون وأصله وعن الله وصفاته والإنسان ومسؤوليته وعن الملائكة.....

● وعلى هذا إذا تحدّث العلماء عن محدودية مصادر المعرفة فإنما يعنون مصادرهم البشرية ويبقى الوحي بمنأى عن ذلك .

● ونزول قيمة المعرفة في هذا المجال عن مستوى اليقينيّة إنما يأتي عن طريق العنصر البشري المتلقي لهذا الوحي

وذلك لمحدودية العقل وعدم قدرته على إدراك مراد الوحي ؛ وهذه مسألة دلالة النصوص التي بحث في علم أصول الفقه .

- **فالوحي نصوص وهذه النصوص تنقسم إلى قسمين :**
- **قطعي الدلالة :** ومن القطعيات : أركان العقيدة وأصول الأخلاق ، والعقوبات المحددة . فمثل هذه لا اجتهاد فيها (لا اجتهاد في القطعيّات) .
- **ظني الدلالة :** حيث يعتري بعض ألفاظه غموض في

دلالاته على معناه ويمثل له العلماء بلفظ الصلاة فهي من
المجمل الذي بينه رسول الله ﷺ حيث حدد صورتها
المرادة ، وكذا قوله ﷺ : (ليس لقاتل شيء) فقد اختلف
الفقهاء في تحديد مفهوم القتل المانع من الإرث : هل
هو القتل مطلقاً أم العمد دون الخطأ ، وهل يدخل في
ذلك القتل بوجه شرعي ؟ أو لا؟.

- والفرق بين المثالين السابقين (الصلاة والقتل) في جهة
- التفسير للنصوص لكل منهما وفي نتيجة ذلك :

● **فالأول** فسرهُ الوحي فاكتسب تفسيره منزلة الوحي في قيمة المعرفة الصادرة عنه بكونها حقيقة مطلقة.

● **والثاني**: فسرهُ العقل البشري فاكتسب تفسيره قيمة المعرفة الصادرة عنه بكونها نسبية غير مطلقة قابلة لاحتمالات أخرى.

● **المسألة الرابعة**: تنزهه عن التأثر بالزمان والمكان: لم يكن للزمان والمكان (**البيئة والتقاليد والطقوس**) تأثير على الوحي الذي أنزل الرسول ﷺ ذلك؛ لأنّ الوحي علم صادر عن الله تعالى المهيمن على الزمان والمكان

- وعليه ؛ فإن الوحي مبرأ من الانطواء في نظرية: (اللاوعي) التي جاء بها يونج والتي خلاصتها: (أن ما يظهر في رؤى الأفراد المنامية، وأحلام اليقظة، وكذلك الأساطير الدينية هو انبثاق عن اللاوعي إلى الوعي، وأن ما يأتي فيها من آراء تكون معبرة بطريقة ما عن المجتمع ، ومتوافقة مع مشاعره ومصالحه ومصاغة بمقولاته ، ومبنية على مسلماته).
- ولكن هذا لا يعني أن الوحي جاء مثالياً بعيداً عن الواقع فهو جاء ليؤثر في الواقع ببيان المنهج وتحديد الحق وإن لم يتأثر بذلك الواقع.

- وقد أخطأ المستشرقون في هذه المسألة في جوانب:
- فقد قالوا: إن الوحي المحمدي جاء وفقاً للمفاهيم التي كانت رائجة عند العرب وقت نزوله ، فالمستشرق **ميلر بروز** يرى: أن الشكل الذي يتخذه أي وحي تقرره الآراء العامة السائدة عن العالم في الوقت والمكان اللذين ينزل فيهما ، وهذه لا يمكن أن تكون كافية ولا دقيقة ولهذا يجب أن تصحح بعد). ويمثل لهذا بما جاء عن خلق الإنسان قبل عصر العلم خلافاً لما هو مشهور الآن من الإنسان كائن متطور كما تقرره نظرية التطور.

وهذا الخطأ كان نتيجة قياس الوحي في الإسلام على الوحي في النصرانية .

● كما أخطأوا حين حاولوا إثبات بشريته من خلال تلمس المسائل التي جاء بها مشابهة لمسائل في اليهودية والنصرانية لأن هذه المسائل:

● - إمّا أن تكون حاجة ملحة عرفها بتجربته كما كانت عند العرب قبل الإسلام قاعدة: (**القتل أنفى للقتل**) وجاء الوحي مقررّاً أنّ في القصاص حياة للناس.

- - وإما أن تكون من بقايا الدين الصحيح الذي جاء به موسى وعيسى - عليهما السلام.
- والحق في مثل هذه دليلاً على صدق النبي الأمي في نسبته الوحي إلى الله تعالى وبهذا جاء القرآن: [أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197)] الشعراء.
- **المسألة الخامسة:** انتفاء الحلول في تلقي الوحي: فالوحي ليس حلوّاً لذات الله في ذات الرسول أو اتحاداً بينهما ، ومذهب الحلول الذي قال به الإشرافيون وغلاة المتصوفة وقد اشتهر منهم:

- الحسين بن منصور الحلاج في القرن الثالث الذي قال بحلول اللاهوت في الناسوت وقالت به مذاهب ضالة : كالمقنعية [نسبة إلى المقنع معاصر للحلاج] ، والشلمغانية [نسبة إلى محمد بن علي الشلمغاني معاصر لهما أيضاً].
- أما في الإسلام فإن العقيدة الإسلامية تؤكد على مباينة الخالق للمخلوقين .

- **المسألة السادسة:** مستند الوحي: إذا كان العقل يستند إلى أدلته القائمة على المبادئ الفطرية في الإنسان ، وإذا كانت المعرفة الحسية تستند إلى التجربة ؛ فإن الوحي يستند إلى علم الله لأنه منه وعلم الله مستغن عن الاستعانة بأية وسيلة للوصول إلى معرفة الحقائق.
- ولكن بما أن العقل البشري وسيلة الإنسان لتلقي الوحي وتفهمه فقد جاء الوحي في إطار مفهوميته ومتطابقاً مع مبادئه الفطرية وذلك حتى يتمكن الإنسان من الاستفادة

● منه. والوحي قد دلل على مسائل كثيرة ذكرها بالأدلة العقلية التي يستند العقل إلى مثلها في إثبات الحقائق من مثل مسائل الألوهية والبعث ونحوها ، خلافاً لمن يرى من الفلاسفة أن دلالة الوحي إنما هي بطريق الخبر المجرد فقط.

● **ما قدمه الوحي في ميادين المعرفة:** عالم ما وراء الطبيعة هو أول ما اجتذب أفكار الفلاسفة من المباحث للنظر فيها ، وحينما انفصل العلم الطبيعي عن الفلسفة كانت الفلسفة هي الميتافيزيقا لدى كثير من الفلاسفة ؛ ولهذا وصفت الفلسفات التي تنكر الميتافيزيقا بالفلسفة ..

- ومع ما واجهته الفلسفة من صعوبات في تناول هذا المجال فإنها لا زالت تبحث فيه لعلها تصل إلى معرفة تطمئن إليها في المسائل الوجودية الكبرى .
- يقول: **بارتيلمي سانت هيلير**: " هذا اللغز العظيم الذي يستحث عقولنا ما العالم؟ ما الإنسان ؟ من أين جاء ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟.... هل يوجد شيء بعد هذه الحياة العابرة ؟ هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولاً جيدة ، أو رديئة مقبولة أو سخيفة".

● الفلسفة وما وراء الطبيعة: بحثت الفلسفة في ما وراء الطبيعة ، والحق أنها لم تقدم شيئاً رغم ذلك التراث الكبير ولهذا فقد أعلنت الفلسفة عجزها عن الإنتاج المطلوب في ميدان الماورائيات ؛ وبما أن عماد الفلسفة في هذا الميدان هو العقل ؛ فهذا يعني عجز العقل في هذا الميدان.

● **يقول إيمانويل كانط:** (إن عقل الإنسان مركب تركيباً يؤسف له ، فإنه مع شغفه بالبحث في مسائل لا تدركها حواسنا لم يستطع أن يكشف عن معمياتها).

● ونتيجة لقصور العقل في هذا الميدان فقد اتجه بعض الفلاسفة المعاصرين في أوروبا إلى اعتبار البحث في

- **الماورائيات لغواً لا فائدة من ورائه وذلك لسببين:**
- 1- أن العقل حينما يتناوله لا يقع على حدوس يطبق عليها مقرراته كالحدوس المتوفرة في عالم الطبيعة.
- 2- أن التاريخ أثبت - **كما يرى كانط** - أن الفلاسفة لم يتفقوا على شيء من تلك المسائل.
- وكانت نهاية المطاف قيام الفلسفة الوضعية التي أنكرت الميتافيزيقا واعتبرت البحث فيها نوع من الوهم والسفسطة كما يرى **هيوم**.

- هل حقق العلم المادي تطلعات البشرية ؟
- واقع الحال أن العلم سار بالناس عكس ما كان يتوقع **الوضعيون** من نسيان الميتافيزيقا ومسائلها ؛ فقد ألهب فيهم شوق التطلع إلى ما وراء عالمه من مجاهيل ؛ ومن ثم صار العلم داعية للإيمان بذلك العالم وبخالق الوجود.
- بل إن مؤسسي الوضعيّة ودعاتها قد انتهوا إلى ذلك من حيث يشعرون أو لا يشعرون :
- وإيمانويل كانط: الذي استبعد الميتافيزيقا بحجتيه النقدية

● **والتاريخية ، يعود فيقول:** (ليحاول الفكر الإنساني أن يتوقف نهائياً عن الأبحاث الميتافيزيقية ، فذلك ما لا يمكن أن يتوقعه أحد ، كما لا يتوقع أن يرانا لكي لا نتنفس -دائماً - هواءاً فاسداً أن نفضل أن نتوقف تماماً عن التنفس).

● **أما كونت:** الذي قضى بنهاية الدين ، فقد تصوف آخر حياته ، ووضع ديناً جديداً بدأ يفصل تعاليمه وطقوسه قبل موته.

- **وليتريه :** الذي حصر نفسه في العلوم الطبيعية ، كانت نتيجة إيغاله فيه إحساسه بأنه محفوف بأسرار الكون وآياته.
- نحن إذن : بين إنكار وإقرار ، رفض ثم قبول ، فهل هذه الأحكام المتناقضة تصب على موطن واحد ؟ ومن خلال النظر في أسباب القبول والرفض للميتافيزيقا عند الوضعية نرى الآتي:
- 1- أن الرفض آت من إثبات عجز العقل وعقمه في مجال الميتافيزيقا.

- 2- والاعتراف منصب على عالم ما وراء الطبيعة ذاته بغض النظر عن مصدر معرفته والإقرار بتطلع البشر إلى ذلك العالم .
- وبهذا يمكن الجمع بين فلسفتي **إيمانويل كانط** فيكون النقد عنده موجهاً نحو العقل وعقمه في إدراك الماورائيات والاعتراف بالتطلع البشري إلى ذلك العالم والحاجة إلى معرفته.

- وإذا عدنا إلى **ديكارت** : في دائرة الفلسفة الأوروبية نراه تقدم خطوة أكثر من **كانط** ، فقرّر أنّ قضايا ذلك العالم لا يمكن العلم اليقيني بها إلاّ بنعمة إلهية خارقة للطبيعة .
- والحقّ أنّ النعمة قد أسديت من الله إلى البشرية متمثلة بالوحي الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ والذي قدم جميع ما يتطلع إليه الإنسان ويحتاجه في حياته وما بعدها .

- ما وراء الطبيعة في الوحي المحمدي :
- يقسم العلماء المسلمون العقيدة التي جاء بها الوحي في الإسلام إلى قسمين :
- الأول : المسائل .
- الثاني : الدلائل .
- المسائل : طرق الوحي جميع موضوعات الميتافيزيقا ، وتمثل مباحثها جزءاً كبيراً ومن النماذج على هذه المسائل :

● **قضية الألوهية: جاء فيها:** [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)] الأعراف.

● **الإنسان :** وعنه قال: [إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71)] ص وقال مبيناً الحكمة من وجوده: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)] الذاريات.

● وفي حكمة خلق الكون وعلاقة الإنسان به: [وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)] الجاثية.

● وفي مصير الكون ونهايته: [فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (14) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (15) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ²⁸ (17)] الحاقة.

- وفيما يكون بعد انتهاء هذه الحياة يقول سبحانه: [يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48)] إبراهيم.
- ويقول مبيناً الحكمة من الحياة الأخروية: [وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (38)] لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (39) النحل.
- كما ذكر الوحي بعض العوالم الغيبية المحيطة بالإنسان

أو ذات العلاقة به، فتحدث عن الملائكة ووظائفهم وعلاقتهم بالإنسان : [لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)] التحريم. [وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)] الانفطار، [حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ (61)] الأنعام

● وذكر الجن وصفاته : [وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)] الرحمن ، [إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ (27)] الأعراف.

● ما امتاز به منهج الوحي عن منهج الفلسفة في دائرة المسائل : راعى منهج الوحي فيما قدمه في دائرة المسائل:

● 1- الطبيعة البشرية المتلقية لهذه المسائل من حيث قدرتها على إدراكها وفهمها. حيث لم يجعل الوحي تعريف الأشياء قائماً على منهج البحث في الماهيات وتحليل كنهها ، بل نهج في ذلك تقرير وجودها والتدليل عليها بآثارها ومظاهرها ؛ ولهذا كان الوحي ؛ ولهذا كان الوحي يصرف عقول الناس عن الإغراق

في بحث الماهيات مما لا يعود على هذه العقول إلا
بتبديد الطاقة والجهد يقول سبحانه: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ
الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا (85)] الإسراء.

● 2- حاجتها في أمور دينها ودنياها: حيث اتجه الوحي
في هذا الجانب إلى ذكر الجانب العملي في علاقة
الإنسان بتلك القضايا الميتافيزيقية التي ذكرها دون
الانقطاع إلى المسائل النظرية البحتة فعند حديثه عن
الله يركز على إحاطته بالإنسان وهيمنته عليه ،
وحيثما يتحدث عن الملائكة يبين مهمتهم المتعلقة

● الإنسان وحينما يتحدث عن اليوم الآخر يركز على بيان مسؤولية الإنسان في ذلك اليوم يقول تعالى : [قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1)] المجادلة. ويقول : [فَأَمَّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (38) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (39) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)] النازعات.

● والوحي بهذا يختلف عن الفلسفة التي لم تراع هذين الأمرين:

- 1- فأوغلت في بحوث لا طاقة للعقل بها ؛ مما اضطرها إلى أن تخضع المسائل الغيبية لقوانين الطبيعة فتقيسها عليها كما فعل بعض الفلاسفة **كأفلوطين** وغيره في بحثهم تعلق عمل الخالق بالمخلوقات فقاسوه بالإنسان ، كما أخطأ المتكلمون من المسلمين الذين قاسوا صفات الله على صفات المخلوقين فصاروا يرون بعض الأعمال واجباً عليه وبعضها حسناً وفق المعايير البشرية .

2- كما أنّ الفلسفة حصرت غايتها من بحوثها الميتافيزيقية في المعرفة فقط دون نظر إلى الجانب العملي فلم تعط الإنسان سوى فكرة جافة ترتسم في صورة جامدة مما جعل مصير الميتافيزيقا الانعزال عن حياة الناس.

- وتبعاً للحيثية الثانية – التركيز على الجانب العملي- فقد قدم الوحي للإنسان هذه المسائل بتفصيل شامل يعطيه معرفة وأقية وتصوراً واضحاً ، فقد تحدث بالتفصيل عن الله وأسمائه وصفاته وعن اليوم الآخر وأحداثه ...
- وهذا خلافاً لمنهج فلسفة الميتافيزيقا التي لم تصل إلا

إلى تصورات مجملة وأفكار مجردة بل يجعلون ذلك غايتهم لأنهم يرون أن المعرفة كلما أُمعنت في التجريد أدى ذلك إلى رب العقل من الوقوع على الحقيقة كما هي وهذا ما يقول به المثاليون.

● وحينما نحى بعض المتكلمين هذا المنحى الفلسفي ، وسعى إلى معرفة الله عن طريق السلب انتهى به الأمر إلى الإيمان بوهم لا وجود له.

● **الدلائل :** حينما عرض الوحي أصول العقيدة قدم الدلائل العقلية عليها بأسلوب محكم وبرهنة قاطعة ولم

● يكتف بالخبر المجرد أو الاعتماد على العاطفة بأسلوب شعري كما يطن البعض من الفلاسفة وغيرهم يقول الإمام الزركشي: (ما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين).

● ومن نماذج الأدلة التي ساقها الوحي لإثبات حقيقة ما يدعو إليه من أصول الدين ما يأتي:

● 1- دليل الاختراع: وقد دلل به الوحي على وجود الله تعالى: [أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36)] الطور.

● 2- دليل التمانع: وهو لإثبات وحدانية الله تعالى عن طريق الاستدلال بانتظام الكون وسلامته من الاختلال وقد يمسى هذا الدليل بقياس الخلف ومنه قوله تعالى: [لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)] الأنبياء.

● 3- أدلة إمكان البعث: ساق الوحي عدداً من الأدلة رداً

على الذين استبعدوا البعث والإعادة من ذلك قوله تعالى
: [وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66)
أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67)]
مريم. وهذا قياس على النشأة الأولى ومعلوم أن إعادة
الشيء أهون من بدئه. وقوله سبحانه: [وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا
عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْنا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (98) أَوَلَمْ يَرَوْا
أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ (99)] الإسراء، وهو
من قياس الأولى أيضاً فالذي خلق السموات والأرض
● قادر على خلق الإنسان الذي هو جزء منها.

● **فأدلته:** تجمع بين العمق والوضوح والدقة اقرأ مثلاً قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} وانظر كيف اجتمع الاستدلال والتهويل والاستعظام في هذه الكلمات القليلة. بل الدليل نفسه جامع بين عمق المقدمات اليقينية ووضوح المقدمات المسلمة ودقة التصوير لما يعقب التنازع من "الفساد" الرهيب. فهو برهاني خطابي عاطفي معاً. وهذا ما لا نجده في كتب الحكمة النظرية).

- ولعل هذا الأسلوب هو الذي جعل بعض الفلاسفة يتصورونه كتاب عاطفة شعرية ؛ لأن أدلته لم تأت على نسق الأدلة الفلسفية المجردة ، كما تختلف في منهجها حيث تنطلق بالإنسان من الوقائع المحسوسة التي يعيشها إلى آفاق العلم الإلهي خلافاً للفلسفة التي حصرت مباحثها في القضايا الفكرية والحقائق المجردة.
- والعلم اليوم يعود إلى منهج القرآن وهذا ما نراه في مجال العلوم الطبيعية التي كشفت دراساتنا عن أسرار الكون وعجائب الخلق الدالة على الخالق.

العلماء بين الفلسفة والوحي: لقد دفع انبهار بعض المسلمين في العصور الأولى بالفلسفة اليونانية إلى تصور أن العلم اليقيني لا يمكن بدون تلك الفلسفة ، ولما تحقق لبعضهم أن المعرفة التي تحققها الفلسفة في ميدان العلم الإلهي وما وراء الطبيعة لا تتجاوز الحيرة والضلال رجع هؤلاء إلى الوحي ومن هؤلاء **الإمام الغزالي** الذي قال بعد دراسة الفلسفة وإعجابه بمنطقها: **(وأما منفعتها - أي علم الكلام - فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفة ما هي عليه وهيات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل**

التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف).
● ومنهم: أبو عبد الله الرازي والشهرستاني والجويني
وأبو الحسن الأشعري الذي كان على الاعتزال ثم رجع
إلى مذهب السلف.